E-ISSN: 2706-9931
P-ISSN: 1994-473X

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September) 2026

Ferdinand de Saussure's Influence on Arab Linguistic Heritage: Tammam Hassan's Reinterpretation of Linguistic Thought

Lect. Asmaa Hasan Shilash [(1)] (Corresponding Author)

[(1)] Ministry of Education, General Directorate of Education of Baghdad Governorate, Al-Rusafa/ 1 Asma1221978@gmail.com

Copyright (c) 2026 **Lect. Asmaa Hasan Shilash**

DOI: https://doi.org/10.31973/a2wabp56

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Publication Dates

(Received 2025-09-14) (Revised 2025-09-24) (Accepted 2025-09-28) (Published 2026-09-15)

Abstract:

This paper explores how contemporary Arab scholars have approached the Arabic language—both in its structure and meaning—through modern linguistic methodologies, with particular emphasis on the descriptive approach. It investigates the intellectual foundations that shaped their understanding, the extent of external influences on their thought, and whether such influences were partial or comprehensive. Within this scope, the study examines the intellectual relationship between Tammam Hassan—one of the leading modern Arab linguists—the classical Arab linguistic tradition, and the structuralist framework of Ferdinand de Saussure, the founder of modern linguistics. Although Hassan never explicitly acknowledged any influence from Saussure, a close reading of his works reveals a latent presence of structuralist principles. This leads to ask about whether this absence of acknowledgment was deliberate or unconscious, and how Hassan succeeded in reshaping linguistic thought through the convergence of heritage and modern linguistic theory. It further considers whether his stance represents a deliberate critical position or an attempt to safeguard the distinct identity of Arab linguistic scholarship.

Keywords: descriptive approach, Ferdinand de Saussure, Intellectual, Tammam Hassan, Linguistic Vision.

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

في أثر دو سوسير والتراث العربي:
تمَّام حسَّان وإعادة تشكيل الرؤية اللسانية

م. أسماء حسن شلش (المؤلف المراسل)
وزارة التربية، المديرية العامة لتربية محافظة بغداد،
الرصافة الأولى

تواريخ المنشور

الإستلام	النسخة النهائية	الموافقة	النشر الالكتروني
(٢٠٢٥/٩/١٤)	(٢٠٢٥/٩/٢٤)	(٢٠٢٥/٩/٢٨)	(٢٠٢٦/٩/١٥)

(مُلَخَّصُ البَحث)

جاء هذا البحث ليبيّن فهم العلماء العرب المحدثين للعربية بمبناها ومعناها على وفق مناهج حديثة وتحديدًا (المنهج الوصفي)، ويُبيّن المُعطى الذي تشكَّل عليه فهمهم، والأثر الذي اقتفوه، وما إذا كان اقتفاءً جزئيًا أم كُلّيًا، في هذا السياق، يطرح البحث تساؤلات جوهرية حول طبيعة العلاقة بين فكر تمَّام حسَّان، أحد أبرز اللسانيين العرب المعاصرين، وتأثيرات التراث العربي القديم، والمشروع البنيوي لفردينان دي سوسير، مؤسس اللسانيات الحديثة. فعلى الرغم من عدم تصريح تمَّام حسَّان المباشر لأي تأثر بدو سوسير، فإنَّ قراءة دقيقة لنصوصه، تكشف عن حضور غير معلن لأفكار بنيوية، ممَّا يفتح باب النقاش حول مدى وعيه أو تعمده لهذا الغياب، وكيف تمكّن من إعادة تشكيل الرؤية اللسانية، عبر التلاقح بين التراث والدرس الحديث؟ وهل موقفه موقفًا نقديًا واعيًا أم محاولة للحفاظ على خصوصية الفكر اللساني العربي؟

الكلمات المفتاحية: دو سوسير، المنهج الوصفي، التأثير الفكري، تمَّام حسَّان، الرؤية اللسانية البنيوية.

مقدمة:

تُعدُّ الدراسات اللسانية الحديثة من أهم الاتجاهات التي أسهمت في تطوير فهمنا للغة وطبيعتها، وكان لفرديناند دو سوسير الدور الأوضح في تأسيس علم اللسانيات البنيوية، من خلال مفاهيمه الثورية مثل الثنائية بين اللغة والكلام، والثنائية بين الدال والمدلول، ومبدأ الاعتباطية اللغوية وغيرها، وتعد هذه المفاهيم حجر الأساس الذي بُنيت عليه العديد من الدراسات اللغوية اللاحقة، سواء في الغرب أو في الفكر اللغوي العربي.

وفي وسط الباحثين العرب، برز تمَّام حسَّان من الباحثين الذين سعوا إلى تجديد الرؤية اللسانية، محاولًا دمج التراث اللغوي العربي مع مناهج اللسانيات الحديثة. رغم أنَّ تمَّام حسَّان لم يصرح بالتأثر بأفكار دو سوسير، إلا أنَّ دراسة نصوصه تكشف عن تطابق ملحوظ في العديد من الأسس اللسانية بينهما، ونستطيع أنْ نتبيَّن ذلك من نتاجاته اللغوية، ولا سيما كتابه (اللغة العربية، معناها ومبناها)، الذي تعرَّض له الكثير من دارسي وباحثي العربية، حتى ثلبه بعض القرَّاء، وقد عدَّ تمَّام ثلب مؤلَّفه أو امتداحه، اهتمامًا بالعربية على حدٍ سواء، واختلاف ما جاء به هذا الباحث، كتبت فيه بحوث كثيرة وما زالت تُكتب، وقد وقعتُ على أربعة وعشرين بحثًا، تناولت ما جاء في كتابه المذكور أعلاه في نظرية القرائن، ونظرية العامل، والعلاقات السياقية، والدلالة، وما إلى ذلك، وكيف لا، وهو الذي يعدُّ بحثه أجرأ محاولة بعد سيبويه وعبد القاهر الجرجاني، حتى أعرب عن غايتين في مقدمته، هما :

- تطبيق (المنهج الوصفي) في دراسة التراث العربي اللغوي.
- إثبات أنّ الموضوع الأول في دراسة اللغة، أيّة لغة في العالم، هو المعنى، وبيان كيفية ارتباطه بأساليب التعبير المختلفة، (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، الصفحات ٦-١٠). وعلى د
- وفقا لذلك بنى كتابه على مسائل عدة ، هي :
- تفسير بعض ما كان يعتبر من مظاهر الشذوذ في التركيب اللغوي.
- إضافة بعض ما أهمله القدماء في دراساتهم.
- ربط الظواهر اللغوية بالواقع اللغوي.
- اثبات ارتباط الظاهرة اللغوية بالمعنى على مستويات اللغة كلها.
- تبيين أنَّ كل نظام من أنظمة اللغة، يبنى على طائفة من القيم الخلافية، وقد أخرج من مبدأ القيم الخلافية

أمرين، يتعاور عليهما التغيُّر والثبوت، هما:

- الثابت، ويقصد به المعجم؛ لأنَّه قائمة من المعاني المتباينة، غير المُتقابلة بالضرورة.
- المتغيّر، ويقصد به المعنى الاجتماعي الدلالي؛ لأنَّه يتحدد على وفق التجربة الاجتماعية، فتتعدد فيه المقامات الاجتماعية، بحسب الثقافة، والثقافة مختلفة، بل متطورة.

ومع أنَّ البحوث كثيرة التي تناولت فكر تمَّام وجهوده، إلا أننا نرى ضرورة أنْ نضع تساؤلًا لأحد الباحثين الذين تصدّوا للنظر في الفهم اللغويّ لتمَّام، تساؤل هو في الأساس عنوان لبحثه، ألا وهو : (جهود تمَّام حسَّان النحوية : قراءة أصيلة للتراث أم اتباع للمناهج الغربية؟)، ويجيب الباحث عن هذا التساؤل في مقدمة البحث مباشرة، وفي خاتمته، ويقرر أنَّ تمَّام تأثّر بـــ(فيرث) ونظريته السياقية، واستثمر ثقافته المزدوجة، لتطبيق المنهج الوصفي في دراسته، والنظرية السياقية تأثر بها دعاة الوصفية، كـكمال بشر ومحمود السعران، وتمَّام حسَّان وغيرهم، ويبدو أنَّ هذا الباحث يستند في رأيه إلى رأي حلمي خليل، الذي يرى أنَّ طرح تمَّام يتفق مع طرح فيرث في التحليل النحوي (معزوز، ٢٠١٥، صفحة ٢١٢ و ٢١٩). وبعد النظر في عدد من البحوث التي تناولت فكر تمَّام من ناحية من نواحيه، وجدنا عدد من الباحثين يذهبون مثل مذهب هذا الباحث، من مثل : (منهج تمَّام حسَّان في وضع المصطلحات اللغوية التراثية، لـمريم بسَّام وعبد العزيز شويط) و(الجهود اللسانية عند الحاج عبد الرحمن الحاج صالح وتمَّام حسَّان، لـدلال عزوز وفاتن فتيتي) و(المنهج اللساني والنقدي عند تمَّام حسَّان، لـ مبروك بركات)، إلا أنَّ بعض الباحثين، على الرغم من ذهابهم إلى تأثُّره بنظرية فيرث السياقية، لكنه يعزوا عدد من أفكاره إلى بعض اللغويين الغربيين كذلك، مثل : دوسوسير وبلومفيلد (نور الدين، ٢٠٢٢، الصفحات ١٦٢ و١٦٤-١٦٥)، وينظر أيضًا (أبو قدر الحسيني، ٢٠٢١، الصفحات ١١٥-١١٩ و ٢٢٧) .

وليس هناك خلاف في سعة معرفة تمَّام بالتراث العربي القديم، فضلًا عن أنَّه تتلمذ على يد فيرث، ممَّا جعله مزدوج الثقافة والمعرفة، ولكن هذا ليس مسوَّغًا لتقييد فكره في دائرة النظر السياقي، فقد تناول مستويات اللغة مختلفة من صوت وصرف ونحو ودلالة ومعجم كذلك، وقد أتى بجديد، ولم يقوده السياق أو المقام إلى ذلك، وإنما سير بحثه على وفق المنهج الوصفي، وإنْ كان لابدَّ من القول بالتأثُّر، فهو متأثّر بالدراسات اللسانية الحديثة منذ بزوغ شمسها في محاضرات فرديناند دوسوسير (١٨٥٧م-١٩١٣) التي نشرها تلامذته بالي و سيشهاي

(١٩١٦م) بعد وفاته بثلاث سنوات، والمدقق في تلك المحاضرات سيلتمس قبولًا واقتناعًا واضحًا من قِبل تمَّام لما طرحه هذا اللساني، وبالإمكان تتبُّع ذلك من خلال بعض الأُسس الرئيسة التي انطلق منها دو سوسير لدراسة اللغة، أيّة لغة، لذلك جاءت خطة هذا البحث، لتقف عند هذه الأُسس، التي تمثل محاور البحث، وتبيّن التقارب بينها وبين ما عرضه تمَّام من أُسس لدراسة العربية على وفقها. وأبرزها :

أولًا / المنهج الوصفي في الدراسة اللسانية بين دو سوسير وتمّام حسان.

ثانيًا/ دراسة الأصوات : من التصور السوسيري إلى التطبيق عند تمَّام حسان.

ثالثًا / المعنى غاية الدراسات اللسانية، القيم الخلافية والتعالق.

رابعًا/ المعجم بين النظرة الإحصائية والبنية النظامية.

خامسًا/ من الطرح البنيوي إلى المراجعة.

أهمية البحث:

- الكشف عن أثر دو سوسير في الفكر اللساني العربي الحديث، بالنظر إلى مشروع تمَّام حسَّان، والتأكيد على ملامح التأثر الضمني، الذي لم يُصرَّح به.
- إبراز دور تمَّام حسَّان في إعادة صياغة المفاهيم السوسيرية ضمن سياق عربي، ممَّا يُعين على فهم آليات توطين الفكر اللساني الغربي في الثقافة العربية.
- إبراز الاتصال المعرفي بين المدرسة البنيوية في اللسانيات، والموروث اللغوي العربي، بما يغري بإجراء بحوث لاحقة في هذا الاتجاه.
- سدّ الحاجة في الدراسات السابقة، التي تناولت أعمال تمَّام حسَّان أو أفكار دو سوسير كلٌّ على حدة، من دون وجود ربط منهجي بينهما من خلال المحاور اللسانية المشتركة.

إشكالية البحث:

ما أبرز الأسس اللسانية التي عرضها دو سوسير ووجدت حضورًا في فكر تمَّام حسَّان، وكيف أعاد صياغتها وتكييفها في ضوء التراث العربي؟

أولًا / المنهج الوصفي في الدراسة اللسانية بين دو سوسير وتمّام حسان:

صرّح تمَّام بتأييده واتباعه ودعوته للمنهج الوصفي، في مقدمة كتاب (اللغة العربية مبناها ومعناها)، وقبل ذلك، كانت لديه دعوة إلى أنْ يكون منهج دراسة اللغة، منهجًا مستقلًا عن بقية مناهج العلوم الأخرى، التي تداخلت بدراسة اللغة، والتخلُّص من الاعتماد على أُسس دراسة، هي في الأساس من خارج اللغة، كالمنطق والميتافيزيقا والأساطير والدين وغير ذلك، "حتى يسلَّم لقارئ اللغة، نصٌّ في اللغة وللغة وحسب" (حسّان، مناهج

البحث اللغوي، ١٩٨٩، صفحة ٥)، وهذا ما أراده دو سوسير لدراسة اللغة، وقد نقله تلميذاه عنه في ختام محاضراته أو دروسه، إذ قال : "من خلال ما قمنا به من جولات خاطفة عِبر الميادين المتاخمة لِعلمنا، استخلصنا تعاليم سلبية تمامًا، إلا أنَّها تعاليم مفيدة، إفادة كبيرة، لا سيما أنَّها تطابق المعنى الأساسي الذي تقوم عليه دروسنا هذه، ألا وهو أنَّ موضوع الألسنية، الحقيقي والوحيد، إنَّما هو اللغة في ذاتها ولذاتها" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ٣٤٧).

وحين لاحظ تمَّام أنَّ الدراسات اللغوية القديمة لم تكن تسير على منهجٍ واحد واضح، ذهب إلى ضرورة النظر في الدراسات الأوربية التي تمثَّلت باتباع مناهج مختلفة أيضًا، لكنها واضحة وتتجه نحو استقلال اللغة بمنهجٍ خاصٍ بها، ولقد وقف عند مذهب دو سوسير لصفحات عدة، بما يوحي باقتناعه به دون سواه من مذاهب الغربيين في دراسة اللغة، فأخذ ينظر إلى اللغة على اعتبار أنَّها مجموعة من النظم الوضعية الاجتماعية، يأخذ منهجها في اعتباره الشكل والوظيفة (حسّان، مناهج البحث اللغوي، ١٩٨٩، الصفحات ٢٦-٢٩)، وفي كتاب (اللغة العربية بين المعيارية والوصفية)، نجد تمَّام مقتنع تمامًا بالتقسيم الثنائي، حتى وضع اللغة بين دفتي المعيار والوصف، ثم نسب المعيارية للكلام، والوصفية للغة، وغايته تحديد المنهج الدقيق للغة، لا دراسة تفاصيل اللغة، وقد تبيَّن له أنَّ النشاط اللغوي ينقسم على قسمين : نشاط معياري، مُقيَّد بالمتكلّم؛ لأنَّه خاضع لـ(عُرف، واستجابة، وقواعد غير مدركات)، ونشاط وصفي مقيَّد بباحث اللغة؛ لأنَّه خاضع لـ(منهج متصل بطبيعة المادة المدروسة، وأدوات تكشف أدوات المتكلّم، فيراقب ويُلاحظ من قرب؛ ليكشف قوانين وأصول استعمال اللغة) (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ١١-١٣ و ٢٦)، ونتيجة لذلك، ومن وجهة نظر تمَّام، يرى أنَّ الخطأ الذي وقع فيه القدماء، أنَّهم نظروا إلى اللغة من زاوية المتكلّم لا من زاويتهم كباحثين في اللغة، وفكروا فيها تفكيرًا معياريًا يخضع للصواب والخطأ، لا تفكيرًا وصفيًا للغة، يخضع لمقياس الاستعمال في وسط اجتماعي، مع عدم انكار محاولة بعض القدماء الذين طبقوا خطوات المنهج الوصفي في أغلب دراستهم للغة، من مثل سيبويه والجرجاني (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، صفحة ١٢و ٢٦)، ومن ثمَّ يرى، أنَّ الباحث إذا لجأ إلى المعيارية، لا الوصفية، جعل دراسته "مؤسسة على المنطق، خالية من كل وجهة نظر علمية، وهي لا تهتم باللغة نفسها، بل ترى أنَّ تلك القواعد التي تفرّق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة، وهذا منهج

معياري بعيد عن الملاحظة الخاصة، ويفرض وجهة نظره فرضًا" (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ٤٣-٤٤).

وبعد هذا التنظير والتأييد للمنهج الوصفي، أخذ تمَّام يطبقه في قراءة التراث اللغوي العربي كله، في وقت كان فيه الكثير من الاساتذة والدارسين، يعيبون ويشككون في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة، ومنهجها الوصفي المتَّبع، فهذا لم يمنعه من بثّ أفكاره وتطبيق المنهج الوصفي، ولا سيما مع طلبته في الدراسات العليا في رسائلهم وأطروحاتهم (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩).

أما دعوته لاتباع دراسة اللغة على وفق المنهج الوصفي فقد اتبع هذا المنهج وطبّقه على جميع مستويات اللغة التي قام بتناولها بالدراسة، إلا أنَّ المنهج الوصفي لا يغني عن بقية المناهج الأخرى، وهو يسمح بتداخل المناهج معه بنحوٍ أو بآخر، فمثلًا قد اعتذر تمَّام لخروجه أحيانًا من جادة المنهج الوصفي، فقال : "ومع أنني أنفرُ من التصدي لتعليل الظواهر اللغوية، أجدني مدفوعًا هنا إلى ملاحظة أنَّ عدم وجود قرينة العلامة الاعرابية في المبنيات، قد جنح بها إلى قرينة الرتبة، وجعل الرتبة عِوضًا لها من العلامة الاعرابية" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٢٠٨). ولسنا الوحيدين في هذا المذهب، فقد رأى أحد الباحثين، أنَّ تمَّام لم يلتزم المنهج الوصفي الذي دعا إليه؛ لأنَّه لم يحدد لهجة واحدة، ولم يحدد زمانًا أو مكانًا معينين، ولم يحدد المستوى اللهجي الذي درسه (أبو قدر الحسيني، ٢٠٢١، صفحة ٢٢٨).

ثانيًا/ دراسة الأصوات : من التصور السوسيري إلى التطبيق عند تمَّام حسان.

يرى دو سوسير أنَّ قضية جهاز التصويت ثانوية مقارنة بمشكلة الكلام التي تمثّل طبيعة الدليل جزءًا مهمًا وأساسيًا منها؛ "ذلك أنَّ أعضاء التصويت عناصر أجنبية عن اللغة، شأنها في ذلك شأن الأجهزة الكهربائية التي تصلح لترقيم ألفبائية (مورس) في غرابتها عن تلك الألفبائية، والتصويت – أي إنجاز الصور الأكوستيكية – لا ينال في شيء من النظام نفسه" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ٤٠)، وفي المقابل وجدنا تمَّام يعدُّ " دراسة الأصوات مقدمة لابدَّ منها لدراسة النظام الصوتي، والنظم اللغوية الأُخرى، ولكنها لا تعتبر بحال جزءًا من دراسة اللغة، ويمكن بعبارة أخرى نقول إنَّ دراسة الأصوات تعد ملاحظة للكلام، ولا تعد دراسة للغة، أي أنَّها تقع خارج دائرة الدراسات القاعدية بالمعنى الضيّق" (حسّان،

اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٦٦).

الناظر في دراسة دو سوسير وتمَّام لعلم الأصوات، يجدهما يجعلانها دراسة ثانوية في الحكم، لكن عند التحقيق، نجد أنَّهما استندا على بحث الأصوات استنادًا واضحًا في مباحثهم في التطبيق؛ فدو سوسير جعل من الأصوات مرتكزًا لمختلف أفصل محاضراته، ذلك حين:

- أرجع كثيرًا من التغيرات النحوية، إلى تطورات صوتية، وفي الوقت نفسه حذّر من الاعتماد الكلي في تفسير تلك التغييرات النحوية على عامل الصوت وحده، لأنَّ في ذلك توجهًا تاريخيًّا في دراسة اللغة (دي سوسير، ١٩٨٥، الصفحات ٢١٥-٢١٦).
- بحثَ المستوى الصرفي عِبر علم الأصوات، ذلك تحت مباحث : القياس والابتداع اللغوي الناشئ منه، وايت جيولوجيا العامة (اشتقاق العامة)، والالصاق (النحت)، وصولًا إلى (موجات الابتكار) (دي سوسير، ١٩٨٥، الصفحات ٣٢٨-٣٢٩).
- تعرَّض لدراسة بعض الظواهر اللغوية الناتجة في الأساس، من تغييرات صوتية، مثل بعض التحريفات الصوتية التي درسها تحت باب القياس والتطور أو بحثه (كيفيات النطق الفاسدة) (دي سوسير، ١٩٨٥، الصفحات ٢٤٧ و ٢٥٣-٢٥٦)، أو ما عُرِف فيما بعد بظاهرة التفصُّح في العربية (شلش، ظاهرة التفصُّح في العربية، ٢٠٢٤، الصفحات ٤٢-٤٣).
- رأى أنَّ الدراسة الصوتية تؤدي إلى دراسة الدلالة في وجه من الوجوه؛ ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ صوتٍ ما، تستقر فيه فكرة ما، ويكون دليلًا عليها (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ٧٣ و ١٧٢).

ولسنا وحدنا من يذهب إلى أنَّ دو سوسير استعان بالدرس الصوتي في مختلف مباحث محاضراته؛ ذلك أنَّ مترجمي كتاب (دروس في الألسنية العامة)، يقرَّان ذلك، لكنهما يعدَّانه خلاف المنهج، وأنَّ أمثلته الصوتية وتفصيل القول فيها، من الاستطرادات الصوتية، المغرقة في الطول ويجب حذفها (شلش، الفونيتيكا النفسية في اللسانيات السوسيرية، ٢٠٢٣، الصفحات ٢٣٣-٢٣٤).

أمَّا تمَّام، فقد درس (الأصوات) فوقف في بحثها :

- اذ درسها سيبويه، في عدد الأصوات وعدد مخارجها وصفاتها، ولم يخرج بها إلى غير ذلك، ثم انتقل إلى فصل بعنوان علم الصوتيات، وهو بهذه التسمية وهذا

التوالي أراد تطبيق وتوضيح ما دعا إليه دو سوسير في ثانوية الأصوات، اذ اكتفى بوصف الأصوات بدايةً، التي هي ليست من نظام اللغة–من وجهة نظره– وإنما هي مقدَّمة لابدَّ منها لدارسة اللغة، ليدخل إلى ما يعدُّ من نظامها، وهو دراسة الصوتيات، وأطلق عليه تسمية أخرى هي (النظام الصوتي)، وأنَّ سبب إخراجه دراسة الأصوات، وإدخال أخرى في نظامها، يعتمد على دخولها في طائفة من المقابلات من حيث المخارج والصفات والوظائف، وهو ما أسماه تمَّام بـ (القيم الخلافية).

- ويُلاحظ أنَّ تمَّامًا يقول بقول دو سوسير في عد الحرف مكونًا من جزأين : سمعي وآخر ذهني، لكنه يصوغ ذلك بعبارته : " الحروف وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنية، لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات، والفرق واضح بين العمل الحركي الذي للصوت، وبين الإدراك الذهني الذي للحرف، أي بين ما هو مادي محسوس، وبين ما هو معنوي مفهوم" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٧٣)، ووفق ذلك يذهب إلى شرح دور القيم الخلافية في صنع نظام صوتي للغة، حتى نفهم أنَّ دراسة النظام الصوتي، تؤدي بنا إلى دراسة المعنى، حين قال : "يعتبر الحرف مقابلًا استبداليًا لكلّ حرف يمكن أنْ يحلّ محلَّه، فيحمل بذلك جرثومة سلبية من المعنى الوظيفي، وهكذا نجد القيم الخلافية من أهمّ مقومات التنظيم الصوتي في اللغة وتحرص اللغة على مراعاتها؛ محافظةً على وضوح المعنى" (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، صفحة ٧٨).
- وبغضّ النظر عن أنَّ الدراسة الصرفية تستعين بالحروف وتقوم عليها، فقد وُجد تمَّام يختم النظام الصرفي بدراسة ظاهرة صوتية، ألا وهي النبر، ويعمد إلى التفريق بين النبر في الصرف، والنبر في الكلام، " فهو فرق ما بين مقررات القاعدة، ومطالب السياق، وبهذا يصبح النبر في الكلام هو الظاهرة الموقعية، لأنّه نبر الجمل المستعملة فعلًا، وهي ميدان الظواهر الموقعية، أما النبر في نظام الصرف، فهو نبر الكلمة المفردة أو الصيغة المفردة على الأصح، وهو نبر صامت صمت القاعدة نفسها، وصمت اللغة من بعدها ..." (حسّان، اللغة العربية

معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، صـفحة ١٧٠) وفـي بسـط هـذا الـنصّ، إلفـات نظـر الـدارس إلـى اسـتعانة تمَّـام بدراسـة الأصـوات، لـيس كمقدَّمـة لدراسـة اللغـة وحسـب، وإنَّمـا فـي دراسة مستويات اللغة كلها.

- ففـي المسـتوى النحـوي يبـيَّن تمَّـام أنَّ الأُسس التـي ينبنـي عليهـا هـذا النظـام كثيـرة، مـن بينهـا مـا يقدّمـه لـه علـم الصـوتيات مـن قـرائن كـالحروف ومـا إلـى ذلـك (حسّـان، اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، صـفحة ١٧٨). وبعـد هـذا الفصـل مباشـرة يعقد فصـلًا للظـواهر السياقية، فجعل تلـك الظـواهر ثـلاث عشـرة ظـاهرة سـياقية، هـي : (التـأليف، الوقـف، المناسـبة، الإعـلال والإبـدال، التوصّـل، الإدغـام، الـتخلُّص، الحـذف، الإسـكان، الكميـة، الإشـباع والإضـعاف، النبـر، التنغـيم)، وهـو حـين يشـرح ويعلـل تلـك الظـواهر يقـول : (النظـام يقـول ... لكـن السـياق لـه مطلـب) (حسّـان، اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، صفحة ٢٩٦).

ونقـف بالـدارس عنـد ظـاهرة الإدغـام لنتبـيَّن مـا أراد بـه تمَّـام مـن مطالـب النظـام، ومطالـب السـياق، فقـال وهـو يُعلـل تلـك الظـاهرة الصـوتية : "أشـرنا مـن قبـل إلـى أنَّ النظـام قـد يصـادف مشـاكل فـي تطبيقـه؛ حـين يتعـارض مـع مطالـب السـياق، فالتعـارض بـين قواعـد النظـام، ومطالـب السياق أمـر مـألوف فـي اللغـات جميعًـا، وهـو مـألوف فـي اللغـة العربيـة أيضًـا، ولقـد مثَّلنـا مـن قبـل بالتقـاء الـدال السـاكنة والتـاء بعـدها، فالنظـام يقـول : إنَّ الـدال السـاكنة مجهـورة وينبغـي أنْ تظـل كـذلك بـاطراد، ولكـن السـياق الـذي جـاء بعـدها بالتـاء، لـه مطالـب فـي هـذا الموقـع، تتعـارض مـع قاعـدة النظـام، فالسـياق هنـا يتطلَّـب الإدغـام الـذي يُصـيّر الـدال السـاكنة وبعـدها التـاء علـى صـورة تـاء مشـددة" (حسّـان، اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، صفحة ٢٧٩).

فـي هـذا الـنص يعنينـا أنْ نلفـت نظـر الـدارس إلـى أنَّ للنظـام الصـوتي قـوة، تجعلـه يـدخل فـي صـراع بـين الأنظمـة اللغويـة الأخـرى، ويتفـوَّق علـى النظـام بقواعـده لتبـرز لنـا ظـاهرة صـوتية مـا، سـببها تغيُّـر صـوتي فـي الدرجـة الأولـى. وجـدير ذكـره هنـا أيضًـا، حـين درس سـيبويه الأصـوات تحـت بـاب (الإدغـام)، عـدَّ تمَّـام صـنيعه هـذا تقييـدًا لمجـال دراسـة الأصـوات وتضـييقًا لهـا؛ كـون الإدغـام لـيس جـزءًا مـن النظـام الصـوتي، وإنَّمـا ظـاهرة موقعيـة سـياقية، تحـدث فـي مواقـع معينـة فـي سـياقات

معينة، ولسنا مع مذهب تمَّام، وذلك لأسباب :

- إنَّ تمَّام اعترف مقدمًا أنَّ سيبويه على وعي تام بأنَّ دراسة الأصوات مقدمة لا بدَّ منها لدراسة اللغة.
- كذلك اعترف بأنَّ سيبويه يرى " أنَّ النظام الصوتي ضروري لمن أراد دراسة النظام الصرفي، بل لعله كان يرى في النظام الصوتي جزءًا لاحقًا أو في دراسة الصرف نفسها" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٥٠).
- كوننا نقول إنَّ الإدغام أو غيره من الظواهر السياقية، هو (ظاهرة)، فلا يعني أنَّها خارج النظام اللغوي، ولا سيما أنَّ النظام يعني الانتظام، وقد عبّر تمَّام عن تلك الظواهر في صُلب نظام اللغة، فقال : (مطلب النظام) و (مطالب السياق) كما مرَّ بيانه. ولدو سوسير رأي مثل هذا في الظواهر الصوتية، إذ حاول إخراجها من نظام اللغة؛ لأنَّها لا تنال من ذلك النظام شيئًا إلا وجهه المادي، وإنْ أصابت ذلك النظام، فهي إصابة غير مباشرة (دي سوسير، ١٩٨٥، الصفحات ٣٩-٤٠)، ولسنا مع هذا الرأي؛ لأنَّ الأثر إنْ أصاب الجزء المادي من اللغة، أو أصابها إصابة غير مباشرة، فهو واقع وملموس.
- إنَّ هذه الظواهر منتظمة في هذا النظام، في استعمال اللغة قديمًا، واستعمالها حديثًا، وأنَّ فصلها من اللغة في الدراسة، لا يعني عدم وجودها؛ لأنَّ الغاية من دراسة اللغة في الأول والآخر، هو تداولها، فضلًا عن أنَّ للظواهر اللغوية، ولوجودها، دواعٍ وأسباب من واقع اللغة، وإلَّا كيف لعالم في العربية مثل سيبويه، جعل من ظاهرة الإدغام -على حدّ تعبير تمَّام- مناطًا لدراسة الأصوات العربية كلها، رغم أنَّه يعدّها مقدمة لدراسة اللغة، ومرتكزًا لدراسة الصرف؟!

ومع أنَّ تمَّامًا وقف على دراسة سيبويه للأصوات، بدءًا من تحديد عددها، وعدد الأصوات الإضافية المستحسنة وغير المستحسنة، وذكر الصفات والمخارج، فضلًا عن استعمال المصطلحات الصوتية المختلفة، والمستعمل منها حديثًا، فإننا نجده يرمي سيبويه بعدم فهم دراسة الأصوات العربية، حتى أنَّه لم يستطع إيصالها للناس بصورة واضحة ودقيقة (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٥٠).

والرأي، أنَّ سيبويه فهم الأصوات العربية فهمًا أصيلًا يعتمد على الملاحظة والتذوّق، حتى وجدناه رتَّب صوت الهمزة، ترتيبًا مغايرًا لما صنعه

أستاذه الخليل، وعدَّه من أشق وأعمق الحروف في العربية، وهو ما تذهب إليه الدراسات الحديثة، ممِّا يدل على فهم واعتداد بالرأي والتقديم.

ثالثًا / المعنى غاية الدراسات اللسانية، القيم الخلافية والتعالق :

أولَّ من طرح هذه الفكرة في اللسانيات الحديثة، هو دو سوسير، إذ قرر تحت فصل الكيانات الملموسة، أنَّ " تلك الدلائل مع ما بينها من علاقات، هي موضوع الدراسة الألسنية، ويمكن أنْ نطلق عليها اسم الكيانات الملموسة لهذا العلم" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ٦٠)، وهذا المذهب جعل بعض الباحثين يفسّر، لماذا عدَّ دو سوسير دراسة الأصوات، دراسة ثانوية؛ ذلك أنَّ علم الأصوات ليس لغويًا؛ لأنَّه ليس سيميائيًا، وما هو سيميولوجي فقط، يكون جديرًا بالدراسة، لأنَّه حقيقيًا ومن صُلب اللغة (دوبيكير، ٢٠١٥، الصفحات ٢٤٠-٢٦٥).

ووُجِد تمَّام قال في مقدّمة كتابه : "إذا كان مجال هذا الكتاب هو الفروع المختلفة لدراسة اللغة العربية الفصحى، فلا بدَّ أنْ يكون المعنى هو الموضوع الأخصُّ لهذا الكتاب؛ لأنَّ كلَّ دراسة لغوية -لا في الفصحى فقط، بل في كل لغة من لغات العالم- لابدَّ أنْ يكون موضوعها الأوَّل والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة، هو اللغة، وهو العُرف، وهو الصلة بين المبنى والمعنى" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩).

والفرق بين صنيع العالمين اللغويينِ، أنَّ دو سوسير أرسى الأساس الأوَّل لعلم السيميولوجيا، فوضع تعريفه قبل اتضاح خطوطه الرئيسية، حين عدَّه " علمًا يدرس حياة الدلائل في صُلب الحياة الاجتماعية" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ٣٧)، فقد ألفت الانتباه إلى ما يمكنه من أنْ يخدم الدرس اللساني في مستويات ومجالات مختلفة في حياة المجتمع، فكانت دعوته لهذا العلم تنطلق من أنَّ كل المؤسسات تشترك في هذا الجانب الدلائلي، وعلينا كباحثين، أنْ نستخرج من بين تلك الأنظمة أو المؤسسات الشيء الذي يجعل النظام اللغوي نظامًا مختلفًا، ويعني (المعنى)، من خلال دراسة الدليل واعتباطيته، إذ يُنظر إلى علم الدلائل من خلال نظام اللغة بالنسبة لدارس اللسانيات، أمَّا بقية الدلائل، فيُنظر إليها من خلال الأعراف والطقوس والعادات والتقاليد وغيرها، وهو مسلك جديد في دراسة

الـــــدلائل (دي سوســـــير، ١٩٨٥، الصفحات ١١٦-١١٧).

أمَّـــا تمَّـــام وهـــو لا شـــكَّ مـــن المجتهـدين الـذين لا يقفـون عنـد ظـاهر القـول وحسـب، فقـال بقـول دو سوسـير : إنَّ المعنـى موضـوع الـدرس اللسـاني، وتلقَّـف هـذه الرؤيـة، وأيـدها بالبحـث والتقصّـي، وخـرج إلـى سـاحة الـدرس اللسـاني الحـديث بدراسـة، ركَّـز فيهـا اهتمامـه علـى تلـك الغايـة، ولـيس مجـرد اتبـاع وتنظيـر، وإنمـا منظـور إلـى ذلـك مـن خـلال المـنهج اللغـوي الحـديث، ومسـتند إلـى التـراث اللغـوي القـديم، ولاسـيما النتـاج البلاغـي، مُبـرّزًا المعنـى الـوظيفي والمعنـى المعجمـي، وصـولًا إلـى المعنـى الـدلالي، مُبدعًا فيمـا أسـماه بالمقـال الاجتمـاعي. ومـن أجـل إثبـات أنَّ المعنـى هـو غايـة الدراسـة اللغويـة، ارتكـز علـى بيـان مجموعـة مـن المفـاهيم وناقشها، منها :

- القيمة أو القيم الخلافية :

مفهـــوم القـــيم الخلافيـــة، مفهـــوم أساسـيّ مـن مفـاهيم نظريـة دو سوسـير، إذ يـرى أنَّـه " لمَّـا كانـت اللغـة نظامًـا متضـامنًا مـن العناصـر جميعهـا، فـإنَّ قيمـة أي عنصـر منهـا لا تنجـرّ إلا عـن تواجـد العناصـر الأخـرى ... إنَّ جميـع القـيم، حتـى تلـك التـي نجـدها خـارج ميـدان اللغـة تبـدو كأنَّهـا خاضـعة لهـذا المبدأ الغريب، فهي تتكوَّن دائمًا من :

- شـيء مخـالف يمكـن إبـدالها مقابـل الشيء الذي نريد تحديد قيمته.
- مـن أشـياء متماثلـة يمكـن مقارنتهـا بالشـيء الـذي نحـن بصـدد النظـر فـي تحديد قيمته.

وهـذان العـاملان ضـروريان لوجـود قيمـة مـن القـيم" (دي سوسـير، ١٩٨٥، صـفحة ١٧٦)، هـذا مـن حيـث مظهـر القيمـة التصـوري، أمَّـا مـن حيـث مظهـر القيمـــة المـــادي، فقـــال : لـــئن كـــان الجانـب المتصـوري مـن القيمـة اللغويـة التابعـة لعنصـر مـا، متكونًـا فقـط ممَّـا لـذلك العنصـر مـن علاقـات واختلافـات مـع سـائر عناصـر اللغـة، فـإنَّ هـذا الأمـر يصـحُّ أيضًـا بالنسـبة إلـى الجانـب المـادي منهـا، فالـذي يهمنـا مـن الكلمـة لـيس الصـوت ذاتـه، إنَّمـا الفـوارق الصـوتية التـي تمكننـا مـن تمييـز هـذه الكلمـة عـن جميـع الكلمـات الأخـرى، وذلـك لأنَّ تلـك الفـوارق هـي الحاملـة للمعنـــــى" (دي سوســـــير، ١٩٨٥، صفحة ١٨٠).

يلاحـظ الـدارس أنَّ دو سوسـير فـي الـنصّ الأوَّل أعطـى قاعـدة عامـة لكـلّ الأنظمـة فـي الوجـود، لا لنظـام اللغـة وحـده، ووصـف تلـك القاعـدة بأنَّهـا غريبـة؛ لأنَّـه يجـدها تفـرض نفسـها بقـوَّة فـــي الأنظمـــة، وهـــي أنَّ لا قيمـــة للعنصـــر المُعـين دون وجـود العناصـر الأخـرى المحيطـة بـه أو الـواردة فـي

السياق معه، ومع أننَّا قلنا بقوَّة هذه القاعدة، لكن دو سوسير يعبّر عنها بـ(التضامن) أيضًا، ممَّا يوحي بتعاون أو استعانة العناصر اللغوية أو غير اللغوية بعضها ببعض في سياق محدد، فضلًا عن إمكان إبدالها أو مقارنتها، من أجل تحديد قيمتها. أمَّا في النصّ الثاني، فهي القاعدة ذاتها، لكنه بسطها بنحوٍ خاص، فخصّ الحرف في الكلمة وإمكانية استبداله أو مقارنته، وما ينتج من ذلك من (اختلاف) في (قيمة)، معنى الكلمة المعينة.

وقد تلقَّف تمَّام هذه القاعدة كغيره من اللغويين، وراح يطبّقها في مستويات اللغة جميعها، إلَّا أنَّ صنيعه تميَّز بترتيب ووضوح أكثر ممَّا نجده في محاضرات دو سوسير، فقد قرر تمَّام أنَّ كل نظام من أنظمة اللغة يتألَّف من قيم خلافية، بدءًا من المستوى الصوتي الذي يقوم على " طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وطائفة أخرى من المقابلات (القيم الخلافية) للتفريق بين أي صوت وصوتٍ آخر، ولو من جهة واحدة على الأقل، وقد تكون من أكثر من جهة، وذلك (كالعلاقة) بين الباء والميم، إذ تشتركان بالعلاقة العضوية في المخرج الشفوي والجهر، وتفارق إحداهما الأخرى بالقيمة، إذ تكون بينهما (مقابلة) من حيث الأنفية وعدمها، والشدة وعدمها. وقديمًا أدرك الكوفيون قيمة (المقابلة) في إيضاح المعنى، فسمُّوها (الخلاف) كما أشرنا من قبل إلى اعتداد الأصوليين بما سمُّوه : (مفهوم المخالفة)" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٣٥).

في النصّ في أعلاه، يلاحظ الدارس أنَّ تمَّام اختلف مع دو سوسير في صوغ العبارة، أما المفهوم فهو نفسه، والمصطلحات نفسها (القيمة، المقابلة، الخلاف، العلاقة)، واللافت، أنَّ تمَّام يعزوا قسطًا كبيرًا من هذا الفهم إلى القدماء العرب، ومع أنَّه واقع فعلًا، لكنه عند القدماء ليس كما هو بيّن عند دو سوسير فحسب ، بل ليس كما قام بتوضيحه وشرحه عنه تمَّام نفسه؛ فهو يبيّن أنَّ القيمة الخلافية قد تكون أكثر من جهة، على المستوى الصوتي، وما إلى ذلك.

ثمَّ يذهب تمَّام إلى إيضاح الكيفية التي يتشكَّل بها النظام الصرفي من القيم الخلافية والمقابلات بين المعنى والمعنى، والمبنى و المبنى، كالقيمة الايجابية من حيث الصيغة بين (ضَرْب و شَهْم)، وغير ذلك. ثمَّ يبيّن ما يتألف منه النظام النحوي، وهو :

- طائفة من المعاني النحوية العامة، والمعاني الخاصَّة.
- مجموعة من العلاقات تربط بين المعاني الخاصَّة.
- ما يقدِّمه نظام الصرف، ونظام الصوتيات.
- القيم الخلافية أو المقابلات بين أحد أفراد كلّ عنصر ممَّا سبق، وبين بقية أفراده، كأن ترى المدح مقابل الذم، أو المتقدم رتبة مقابل المتأخر وهكذا (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ٣٦-٣٧).

ويلاحظ الدارس، حرص تمَّام في كلّ نظام لغوي، على بيان النتيجة المتولّدة من تلك العلاقات والمقابلات والقيم الناتجة منها، فحاصل معطيات الصرف والصوت، معنى نحوي خاص وعام، تدخل في نسجهما علاقات، ينتج منها جميعًا المعنى، وهو غاية الدراسة.

□ التعالق :

يصرَّح تمَّام بدايةً أنَّ مفهوم التعالق، ابتكار الجرجانيّ، إضافة إلى مفاهيم أخرى كـ(النظم والترتيب والبناء)، وفي الوقت نفسه يرى، أنَّه غير واضح تمامًا عند الجرجاني، بل إنَّه لم يصرّح به، فقال :"وإمَّا أخطر شيء تكلَّم فيه عبد القاهر على الإطلاق، فلم يكن النظم والبناء ولا الترتيب، وإنَّما كان (التعليق)، وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ولعلَّ من المؤسف حقًا أنْ نضطرَّ اضطرارًا إلى أنْ نفهم من مصطلح عبد القاهر ما لم ينصّ هو على معناه نصًّا صريحًا؛ ذلك بأنَّ عبد القاهر لم يقصد قصدًا مباشرًا إلى شرح ما يعنيه بكلمة (التعليق)، ولكن إشارات عامَّة جاءت في سياق نصّ كتابه تُشير عن بُعد أو قرب إلى ما فهمناه عنه بهذا الاصطلاح" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ١٨٨ و ١٨٦). نفهم من هذا النصّ :

- الجرجانيّ لم يصرّح بالمفهوم، وإنَّما بالمصطلح.
- شرح تمَّام للمفهوم وتبسيطه له، كان من طريق القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، هو شرح مُبتكَر، لكنه مرتكز على ما ورد عند الجرجانيّ حصرًا، بل أنَّ فهم تمَّام ربما لا يتوافق مع مقصد الجرجانيّ، لأنَّه ما قصد إلى القرائن بأنواعها قصدًا.

ربما نقتنع بقول تمَّام هذا، لكن ألا يُحسن القول إنَّ مصطلح التعليق، يدلّ في معناه على العلاقة والارتباط والإلزام؟ فيكون بذلك المصطلح ليس غامضًا أو بعيدًا عن مراد الجرجانيّ؟

أليس للقدماء من مثل سيبويه وابن جني والجرجاني وإضرابهم، لغتهم العالية التي تحتاج إلى تبسيط من قبل الذين جاءوا من بعدهم؟ أليس دو سوسير وقف عند هذا المصطلح وبحثه قبل تمَّام بأكثر من نصف قرن تقريبًا؟ فقال تحت فصل مناقشته لمفهوم القيمة اللغوية من حيث مظهرها المادي : "في نهاية المطاف، أي جزء من أجزاء اللغة، أنْ يقوم إلا على عدم مطابقته لبقية الأجزاء الأُخرى، فالاعتباطية والتخالف، صفتان متعالقتان، وأفضل دليل على هذا التعالق، هو تغيُّر الدلائل اللغوية"؟ (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ١٨٠ و ١٨٦).

ومهما يكن من شيء، فإننا وجدنا تمَّامًا يؤكد الفضل للقدماء في بثَّ الإشارات ووضع المصطلحات، وللغربيين في تبسيط تلك الأُسس والمعطيات الموجودة في التراث العربي، حين قال فيما قدَّمه البلاغيين للدرس اللغوي، في دراسة المعنى الاجتماعي (المعنى الدلالي)، من فكرتي المقام والمقال، فهاتان الفكرتان :" ممَّا خلَّفه البلاغيون في تراثهم الثمين تعتبران من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللغة عند الغرب المعاصر" (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، صفحة ٢١)

ثـمَّ وُجِد دو سوسير يعقد مباشرةً، فصلًا للعلاقات الترابطية والعلاقات السياقية، ليبيّن ماذا يعني بالتعالق، فهو يرى أنَّ " العلاقة السياقية علاقة حضورية (in praesent)) تقوم على عنصرين أو فأكثر، كلها متواجدة في نفس الوقت ضمن سلسلة من العناصر الموجودة بالفعل" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ١٨٧)، ليأتي تمَّام كعادته ويربط الأمر بصاحب نظرية النظم، فقال : "والكشف عن العلاقات السياقية (أو التعليق كما يسميه عبد القاهر) هو غاية الإعراب" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ١٨١)، ويعطي لتفسير ذلك مثالًا من العربية (ضرب زيدٌ عمرًا)، ويطبّق عليه قواعد تلك العلاقات السياقية، وهي لا شك علاقة سياق نصّ لا سياق مقام، وهذا ما دقق الجرجاني فيه البحث، ووجدنا تفصيله عند دو سوسير، إذ هو يشدد على حضور الكلمة في السياق النصي ليتحقق لها الدخول في تلك العلاقات. ليصل إلى نتيجة مفادها " أنَّ المعنى على مستوى النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، هو معنى وظيفي، أي أنَّ ما يسمى المعنى على

هذا المستوى، هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي، ثم يأتي معنى الكلمة المفردة (المعنى المعجمي) وما يكون بمجموع هذين المعنيين، مضاف إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى التي نرتضي لها اصطلاح البلاغيين (المقام) ... وكلُّ ذلك يصنع (المعنى الدلالي)" (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، صفحة ١٨٢)، هنا يصل تمَّام إلى غاية الدراسة، وهي المعنى الدلالي ...

رابعًا/ المعجم بين النظرة الإحصائية والبنية النظامية :

وعلى وفق هذا الفهم، دعا دو سوسير إلى إطراح (الكلمة) خارج السياق؛ لأنَّ السياق يتركَّب من وحدتين متتاليتين فأكثر... والكلمة إذا وقعت في سياق ما، فإنَّها تكتسب قيمتها بفضل مقابلتها لما هو سابق، ولما هو لاحق بها. فإذا ما وجدنا كلمة خارج النصّ أو الخطاب متضمنة لشيء مشترك موجود في ذهن المتكلّم، مثل كلمة تعليم، التي تُثير بصورة لا شعورية طائفة من الكلمات : علَّم وأعلم ومعلّم ... فهذا الترابط الذهني ليس ترابط سياق لفظي، وإنَّما ميدانه الدماغ (الكنز الباطني للفرد)، ويسمّيها دو سوسير علاقات ترابطية : "والعلاقة الترابطية تجمع بين عدد من العناصر بصورة غيابية (in absentia) ضمن سلسلة وهمية موجودة بالقوّة مجالها الذاكرة" (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ١٨٧).

وقد مرَّ القول في مقدمة البحث، إنَّ تمَّام حسَّان، قد أخرج عنصرين أو مستويين من نظام اللغة: (الكلمة وهي في المعجم، والمعنى الاجتماعي)، حاصل العمل فيهما، والاستعانة بهما يوصل إلى الغاية من الدراسات اللغوية، بل الدراسات اللسانية الحديثة، وكيف لا، وهما عنصران تتعاور فيهما الحركة والسكون، إذ لا يمكن النظر إلى اللغة على أنَّها حركة دون النظر إلى ناحيتها الساكنة، وهذا ما دعاه إلى الوقوف مطوَّلًا على الكلمة، حتى قال :" والكلمة عقال المعنى، والمعنى الشارد بلا عقال، لا بدَّ له أنْ يضلّ ويختفي ويضيع إلى الأبد" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩)، ولشدّ ما دار تمَّام حول المعنى، يتوقّع أنَّ بعض المعاني قد تشرد وتضيع، ولكن وجود (العرف) يمنع ضياع المعاني وضَلالها، إلى حدّ أنَّ الدارس يجد المعنى نفسه يدور في مجتمعات مختلفة، برموز مختلف (الكلمة)، لكن معقِل المعنى في رمز محدد، في مجتمع معيَّن، هو (تعارف) أبناء المجتمع على ذلك المعنى المعيَّن،

ارتكـــازًا علـــى الاعتبـــاط والمنطـــق (حسّـان، اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، الصـــــــفحات ٣١٨-٣١٩)، فهـل بعـد هـذه الرؤيـة والمركزيـة فـي الدراسـة، لا يمكننـا أنْ نـردُّ مـذهب تمَّـام في إخراج المعجم من أنظمة اللغة؟

وجـدير ذكـره هنـا، أنَّ تمَّامًـا قبـل أنْ يـدخل علـى فصـل المعجـم، تنـاول دراسـة الاشـتقاق، وتعـرَّض إلـى مسـألة الأصـل فيهـا، إذا كـان الاسـم أو الفعـل، التـــي اختلـــف فيهـــا البصـــريون والكوفيـون، فإنـه يـذهب مـذهبًا مُغـايرًا فـي ذلـك، حـين عـدَّ الجـذر، أي جـذر الكلمـة هـي أصـل الاشـتقاق، إذ تمثّـل هـذه الحـروف "ملخـص علاقـة أو رحـم قربـى بـين المفـردات التـي تتـرابط معجميًـا بواسـطتها، ولـذلك كـان الإجـراء المفضَّـل عنـدهم فـي معـاجمهم، أنْ يفصـلوا فـي الكتابـة بـين أصـول المـادة حتـى لا تُفهـم منهـا كلمـة مـا" (حسّـان، اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا، ٢٠٠٩، صفحة ١٦٨ و ١٧٨).

وقـد قـال دو سوسـير بهـذه القربـى و(التـرابط) بـين المفـردات، مـن ناحيـة عنصـر مشـترك بينهـا هـو (الجـذر)، مثـل الكلمـات : تعلـيم، علَّـم، تعلَّـم ... وزاد علـى ذلـك، ارتبـاط الكلمـة الواحـدة بغيرهـا مـن ناحيـة (الصـيغة) مثـل : تعلـــيم، تســـليح، تبـــديل ... (دي سوسـير، ١٩٨٥، صـفحة ١٩٠) وكـل ذلـك يجـري فـي سلسـلة غيابيـة، مجالهـا الذاكرة على ما مرَّ ذكره.

ولـيس هـذا وحسـب، فعلـى الـرغم مـن أنَّ دو سوسـير، مـن ناحيـة يـرى أنَّ المعجـم (علـم الكلمـات)، مجـرد قائمـة مـن الكلمـات، فإنَّـه يـنصُّ علـى أهميتـه ومكانتـه، مـن ناحيـة أُخـرى، لا سـيما فـي النظـام النحـوي، وقـد تسـاءل إذا كـان مـن المعقـول إسـقاط المعجـم، وعـدم الاسـتعانة بمادتـه علـى مسـتوى النحـو، فيُجيـب علـى ذلـك التسـاؤل، بالإيجـاب، وهـو يـرى علـى الـرغم ممَّـا تبدو عليه مـادة المعجم من أنَّها مجرد قائمـة مـن الكلمـات، توجـد علاقـات تـربط الكلمـات بعضـها بـبعض فـي وجـه مـن الوجـوه، إلَّا أنَّ الباحـث المُـدقِق، سـيجد فـي تلـك العلاقـات مـادة مُعينـة، سـواء علـى مسـتوى الكلمـة أم علـى مسـتوى النحـو (دي سوسـير، ١٩٨٥، صفحة ٢٠٢).

ومثـل ذلـك نـرى تمَّامًـا، قـد تسـاءل -أيضًـا- تسـاؤلًا يضـعه بـين قوسـين هلاليـين، فيمـا إذا كنَّـا نسـتطيع أنْ نعـدَّ المعجـم نظامًـا شـأنه شـأن أنظمـة اللغـة : الصـوت والصـرف والنحـو، ولكـي يحـافظ علـى مبـدأ (القـيم الخلافيـة)، أخـرج المعجـم مـن أنظمـة اللغـة، وقـد أعطـى للـدارس تفسـيرات واضـحة لهـذا الصنيع، ونبسط منها الآتي :

- ليس بين كلمات المعجم أي علاقة عضوية، والعلاقة العضوية غير العلاقة الاشتقاقية، المتمثلة بالاشتراك في أصول المادة، أمَّا العلاقة العضوية فتُدخِل الوحدة المعجمية في علاقة خلافية مع بقية الوحدات أيًّا كان موضعها في النظام، فالصفة ليست كالاسم، والمثنى ليس كالجمع، فلكلّ منها له مكانه في المعجم لا يتركه ولا يطغى.
- ولأنَّ وحدات المعجم تفتقر إلى العلاقات العضوية، فلا يمكن أنْ تدخل في صورة جداول ذات أبعاد رأسية، وأُخرى أفقية تتشابك فيها العلاقات وتؤدي إلى قيم خلافية، تمثّل حارسًا لأمن اللبس في النظام والسياق معًا.
- صعوبة استعارة وحدات النظام من لغة إلى أُخرى في حدود العُرف؛ ذلك أنَّ وحدات المعجم تمثّل مسميات التجارب الاجتماعية لكل مجتمع، فتضع للمسمَّيات اسمًا وللأعمال أفعالًا، وللعلاقات أدواتًا تربط بين الكلمات في السياق، ووفقًا لذلك تختلف وحدات المعجم من لغة إلى أخرى؛ لأنَّ عُرف مجتمع ما، يختلف أو لا يتشابه بالضرورة مع عُرف مجتمع آخر (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ٣١٢-٣١٣)

ومن بين هذه التفسيرات، لم يستطع تمَّام أنْ يغادر مسألة العرف والمجتمع، وهي مسألة تدلّ في وجه من وجوهها، عمَّا تساءل عنه دو سوسير، في إمكان الاستعانة بالمعجم في نظام النحو. لأنَّ تمَّامًا في نهاية بحث المعجم لم يقرر، إذا كان ممكن عدَّ المعجم نظامًا قائمًا بنفسه أو لا، لكن تفصيل بحثه يقول ذلك.

حيث يرى أنَّ المعجم _وإن لم يكن نظامًا قائمًا بنفسه_ جزءٌ من اللغة، ومعينٌ مُختزن في ذاكرة المجتمع، ذلك أنَّه يؤكد على (العلاقة العُرفية) بين الكلمات ومعانيها في كلّ مجتمع، فالمجتمع العربي يسمي : رجل، والانجليزي يسمي : man والفرنسي يسمي : lhomme ومع أنَّ المعنى واحد، إلَّا أنَّ الرمز له مختلف في كل مجتمع، باختلاف المجتمع الذي يستعمله، والذي يعين على معرفة المعنى في مجتمع معيَّن، هو التعارف بينهم، أي (العُرف) الذي يكون أساسه الاعتباط والمنطق (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ٣١٦-٣١٩).

ومن اللافت أنَّه يستعمل في بحثه مصطلح (العلاقات العرفية)، ومعلوم أنَّ مفهوم العلاقة، يوحي بوجود عناصر أُخرى، ولنقُل لغات أُخرى، ممَّا يُنبئ عن وجود قيم خلافية من نوع آخر، لا في جدول معين في لغة معينة، وإنما في جدول معين (معجم) مع جداول أُخرى (معاجم) في لغات مختلفة، والذي يعطي قيمة عنصر ما (كلمة أو رمز) في جدول ما هو العُرف. وإلَّا فما الذي جعل دو سوسير، أو تمَّامًا أو من تابعهم، في أنْ يعدُّوا المعجم ليس نظامًا، لكنه جزء مهم من اللغة؟

ذلك يفسّر للدارس سبب الاهتمام والتدقيق في هذا الجزء من اللغة، من قبلهم، وقد رأت الباحثة هنا، من خلال بحثين مستقلين سابقين، أنَّ دو سوسير لم يهمل الجانب الانجازي، أو (استعمال الفرد) في محاضراته مثلما ذهب بعض الباحثين هذا المذهب، واستدلَّتْ على ذلك من خلال تعريفه للسيميولوجيا، إذ ربط دراسة هذا العلم في قلب المجتمع، فضلًا عن تركيز اهتمامه على التغييرات الصوتية والظواهر الناتجة منها، ارتكازًا على مستعمل اللغة (الفرد) في مجتمع ما، حتى تكرر استعمالها، الذي أعطى لها شرعية بالبروز والتداول من قبل المجتمع كله.

وهذا الصنيع، وجدنا مثله عند تمَّام، إذ أنّ بحث المعجم، والتدقيق في مسألة العلاقات العرفية، والمعنى الحقيقيّ المتولّد من التعارف، فضلًا عن المجازيّ المتولِّد من طريق التحويل ليعبّر عن تجربة ما من تجارب مجتمع ما، جعله يولي أهمية (للكلمة الصامتة) وهي في المعجم، على مستوى النحو (المقال)، ثم الانتقال به إلى ساحة الاستعمال (حيز الحركة والتطبيق)، الذي في كل حال يبقى مفتقرًا إلى (المقام) أو المعنى الاجتماعي، ليصل في دراسته إلى بُغيته، وهو المعنى الدلالي (حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ٢٠٠١، الصفحات ٤٠-٤١)

لذا راح تمَّام يبحث عن بُغيته في قلب المجتمع، وتحوَّل بها إلى (اللغة المحلية)، في مناقشة بحث المعجم، وإن كان قد ضرب أمثلته الأولى من (اللغة الفصحى) للغات المختلفة، فمعلوم أنَّ الاسم ليس كالفعل، ولا يمكن أنْ يتبادل أحدهما من موقع الآخر في المعجم، إلا في حالات خاصة، مثل أنْ نستعير الفعل للتسمية به، أمَّا استعارة الكلمات من لغة إلى أُخرى فهي واقعة، ومستمرة، ولم يقف الأمر عند تلك الكلمات التي ذكرها تمَّام، كالقسطاس والاستبرق، والبريسم وغيرها، أمَّا العُرف فهو مناط الاستعمال، ومعنى

هذا أنَّه يدرس اللغة المنطوقة في الكلمات الصامتة (المعجم)، ويستنطقها من طريق العرف، وليس اللغة المنطوقة الفصحى، التي تستعمل في مواقف (رسمية) (شلش، ظاهرة التفصُّح في العربية، ٢٠٢٤، صفحة ١٩٠ وما بعدها). ومن ثم فإننا لا نتخيَّل مجتمع في مختلف طبقات أفراده، أنَّ يتكلَّم اللغة المنطوقة بالمستوى العالي (الفصيح) فقط؛ فلا شكَّ أنَّ أفراده يستعملون العامية في الغالب، لا سيما في المواقف (غير الرسمية) التي تشكَّل أغلب مواقف الحياة، وعلى مستوى المجتمع الواحد، في مناطق مختلفة من البلد المعين، فإن التكلَّم باللغة الفصحى لا يُحدث انقطاع في دورة الكلام، أمَّا استعمال العامية فيحدث عند بعض الكلمات، كما هو الحال بين لهجة الجنوب والوسط من العراق، وكذا الحال لو تحدَّثت مجموعة من رجال من البلدان العربية، وباللغة الفصحى، لا يحدث انقطاع في دورة الكلام، وبالعكس إذا تحدَّثوا بلهجاتهم العامية، فإنه سيحدث انقطاع أيضًا في بعض المفردات؛ لاختلاف العرف.

واللافت أنَّه أطلق على المعنى في وحدات المعجم، (المعنى المعجمي)، وذا إنْ دلَّ على شيء، فإنَّه يدلُّ على استحقاق المعجم للدخول في النظامية، وهذا ما أراده له دو سوسير من قبل– كما مرّ ذكره– حين تساءل عن امكانية الاستعانة بالمعجم في دراسة النحو، ذلك التساؤل كفيل في الحثّ على البحث والتقصي، الذي أوصل تمَّامًا إلى أنْ يجعل للمعجم معنى خاصًا به، يمكن الاستعانة به في بيان (المعنى الدلالي)، وكما عرض دو سوسير الكلمة وجعلها صامتة، وهي خارج السياق، لأنَّ السياق لابدَّ وأن يتركب من وحدات متتالية، اثنين أو أكثر، فإنَّ تمَّامًا يعدُّ اللغة نظامًا أكبر صامتًا، هذا النظام يشتمل على المعجم، وهو صامت أيضًا سواء كان على سطور المعجم أو في ذهن المجتمع، والذي يبعث فيه الحياة هو الكلام (الفرد) حين يستعمله، وفقًا لنظامه اللغوي المعيَّن، والذي يستوقف الدارس، أنَّ تمَّامًا يعدُّ (الاستعمال، الفرد، الكلام) محوّلًا لوحدات المعجم والنظام اللغوي من (وادي قوة) إلى (وادي فعل)، أيّ أنَّ المعجم بمفرداته الصامتة، هو قوَّة توازي قوة الفرد مستعملها.

خامسًا/ من الطرح البنيوي إلى المراجعة:

وبعد، نجد تمَّامًا في ١٩٨١م، يخرج إلى ساحة الدرس اللغوي العربي، بكتابٍ جديد بعنوان : (الأصول)، يتراجع فيه عن بعض ما قدَّمه من أفكار وفهمٍ لمبنى ومعنى التراث العربي من خلال المنهج الوصفي، مع اعتزازه وثبات موقفه من تقسيم الكلم، ونظرية تظافر القرائن، وفكرة العامل، والقول بالترخص، فضلًا عن النظام الزمني للصيغ العربية،

والظواهر السياقية، إذ يعترف لقُرَّائه أنَّ كتاب (الأصول/ ٢٠٠٠م) كان يجب أنْ يكون منشورًا قبل كتاب (اللغة العربية/١٩٧٣م)؛ لأنَّ فكرة الأصول في الأساس كانت موجودة منذ عام (١٩٥٩م)، حين كان يُدرّس النحو، إذ فرض عليه التدريس أنْ يعود إلى كتب التراث النحوي، وأنْ يعطيها اهتمامًا كبيرًا، فاق اهتمامه بالدراسات الحديثة الأوربية والأمريكية، فكان حقًا أنْ يكون كتاب (الأصول) مقدمة لكتاب (اللغة العربية)، ويبرر صنيعه هذا بالآتي :

- خضوعه لدوامة الموازنة بين الإعلان عن رأي جديد من إبداعه الفكري، وبين الإعلان عن رأي جديد في آراء النحاة القدماء، مع أنَّ الدارس لاحظ أنَّ تلك الآراء والتوجهات في دراسة العربية، موجودة عند دو سوسير وبالمصطلحات نفسها، لكن تمَّام فضَّل نسبتها للقدماء، كون التراث العربي يحمل شذرات تلك الأفكار، وأُسسها.
- إنَّ عوامل الأثرة غلبته على عوامل الإيثار، فقدَّم ما كان يجب تأخيره، وأخَّر ما كان يجب تقديمه، وفي هذا اعتراف بالتعجّل حين وجد تشابه بين ما طرحه دو سوسير من نظرية، وما هو موجود فعلًا عند القدماء العرب، فَرَاحَ تمَّام يُعلن عنه بطريقة غير مباشرة.
- بعض الأفكار الموجودة عند القدماء، لم تكن واضحة في ذهنه، مثلما هو الآن، فكان لِزامًا عدم الإعلان عن أفكار غير ناضجة لساحة الدرس اللغوي. والسؤال الذي لابدَّ من طرحه هنا: لماذا يبرر تمَّام لصرف نظره عن بعض ما جاء بكتاب (اللغة العربية)؟ هل هي أفكار غير ناضجة أيضًا؟ هل هي أفكار متضاربة مع أفكار (الأصول)؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب، فمعناه أنَّ كتاب اللغة العربية لا يصلح ليكون تتمة لكتاب الأصول، وإنْ كان الجواب بالسلب، فمعناه لا داعي لتقديم المبررات لتلك الأفكار المُعلن عنها في كتاب اللغة العربية، وهي لا تتعارض مع ما جاء في كتاب الأصول.

ولعلنا نجد الإجابة على ذلك –أيضًا– من تتمة مقدمة الأصول؛ ذلك حين رأى أنَّ فكرة دراسة كل فرع على حِدة: معسكر اللغويين، ومعسكر البلاغيين، ومعسكر النحويين؛ ليبّن ما كان منها حقل صناعة، وما كان منها حقل معرفة، وما كان منها يقف برجليه بين هذا الحقل وذاك. وأضافوا ما أضافوه من أصل اشتقاق وأصل صيغة وأصل وضع وأصل معنى وأصل استفهام وأصل خطاب وهكذا، إنَّما تلك فكرة وافدة جديدة على خطة بحث الأصول، لم تكن في حسبانه من قبل، أي أنَّ الفكرة لم تخطر له كما قال : إنَّها موجودة منذ ١٩٥٩م! والذي يبدو لنا من خلال التدقيق في بحوث تمَّام، لقد كانت لديه فكرة بحث غير واضحة تخصُّ النحاة

القدماء، فصادف أنَّه درس الفكر اللغوي الحديث في الغرب، من حيث المنهج والخطوات، فترك الفكرة غير الواضحة، وأخذ بفكرة أخذته إعجابًا وتأييدًا، فاقتفى من خلالها أثر التراث العربي على خطى اللغويين الغرب، ولاسيما دو سوسير، وبعد أنْ أعلنها، تناولها الباحثون، وانتقدوها بالدراسة، وأعطوا فيها الرأي، والردَّ أو القبول، فأعاد تمَّام النظر فيما كتب، وبعد مرور ما يقارب أكثر من عشر سنوات من صدور كتاب اللغة العربية، وبعد أنْ انجلت عنه الأثرة والتأثُّر والانبهار والإعجاب، أخذ ينظر من زاوية جديدة للتراث، طلع بها علينا من نافذة اسمها الأصول، وليس هناك فكر قديم راكز.

وكيف لا نرى ذلك، وهو القائل : " من الواضح إنَّ المرء قد يُعجب بفكرة ما؛ لِما يبدو فيها من أصالة وتماسك بين أجزائها، وعلاقات عضوية داخلية بين عناصرها، ولكن ذلك لم يمنعه أنْ يلتزم فكرة أُخرى ... والحقَّ أقول ... غلبت عندي عوامل الأثرة على عوامل الإيثار، فظهر ذلك الكتاب وبقي هذا ينتظر الظهور" (حسَّان، ٢٠٠٠، الصفحات ٩-١٢)، هذا بعد أنْ قال مفتخرًا واثقًا بنتاجه الفكري في كتاب اللغة العربية : "وهذا التطبيق الجديد للنظرة الوصفية في هذا الكتاب، يعتبر – حتى مع التحلّي بما ينبغي لي من التواضع– أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية، تجري بعد سيبويه وعبد القاهر. أقول أجرأ محاولة لأنني أعرف أنَّها كذلك، ولا أقول أخطر محاولة؛ لأنّي لا أعلم ما يترتب عليها من آثار" (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ١٠).

الخاتمة :

- لم يكن تمام مقتفيًا لخطوات استاذه فيرث في (السياق) وحسب، بل البحث يكشف عن المزاوجة بين ما طرحه دو سوسير من ضرورة عد (المعنى الدلالي) أساسًا في دراسة اللغة بمستوياتها المختلفة، وبين ما طرحه فيرث في النظرية السياقية لاحقًا، ليخرج بنتيجة اسماها (المقام الاجتماعي) أو المعنى الاجتماعي.
- تأثر تمَّام بأسلوب الكتابة والإقناع لدى دو سوسير؛ فدو سوسير يقف كثيرًا عند التفريق بين اللغة والكلام، وكذلك الارتكاز على مفهوم اللغة الصامتة، أو ذاكرة المجتمع، فضلًا عن دعوته لدراسة اللغة المنطوقة والتأكيد على العُرف الاجتماعي، بالإضافة إلى أسلوب ضرب الأمثلة في توضيح المسائل اللغوية، فمثلًا أعطى دو سوسير أمثلة في : لعبة الشطرنج، والمنطاد، ومركب الماء، والجبال والسهول، والثوب المسروق، والثوب ذي الترقيعات، والبطة والقطار، وتهديم الشارع، والهواء على سطح الماء، والورقة وغيرها (دي سوسير، ١٩٨٥، صفحة ١٦٠ و ١٦٨ و ١٧٢ و ١٧٤)،

كذلك تمَّام فعل، فأعطى أمثلة في : أجهزة الجسم الإنسانيّ، وسائق السيارة والمرور، والطلاب والصفوف، والعناصر الكيميائية والتفاعل الكيمياويّ، وقواعد الشطرنج وغير ذلك (حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٠٠٩، صفحة ٣٣ و ٤٧ و ٧٤ و ٢٣٢ و ٣١٦)

- إنّ بعض المفاهيم الواردة لدى دو سوسير، مثل المفاهيم التي تخصُّ المعنى، والتعليق والعلاقات السياقية الموجودة عند عبد القاهر. وكذلك الاهتمام بالأصوات من حيث عدم الاهتمام بها واخراجها من نظام اللغة، كما وضعها سيبويه في ختام كتابه، ورأى تمَّام بأنه ضيّق مجالها كونه حصرها بظاهرة الإدغام وما إلى ذلك. تجعل الباحثة تظنُّ أنَّ دو سوسير قد اطلع على بعض التراث العربي القديم، وهذا يتطلَّب بحثًا مستقلًّا يكشف عن مدى صحّة هذا الادعاء.
- لم يلتزم تمَّام المنهج الوصفي؛ لأنَّ طرحه لنظرية جديدة في العربية، كنظرية القرائن وتقسيم الكلم وغير ذلك، يتعارض مع اختيار المنهج الوصفي لعرض النظرية، لأنَّ النظريات الجديدة تحتاج إلى الاستعانة بمناهج اخرى كالتعليل والتحليل، إلى جانب المنهج الوصفي. ولعلَّ تناول تمَّام لدراسة المعنى الدلالي (الاجتماعي)، وضربه بعض الأمثلة من المواقف التي تحدث في المجتمع، خيَّل إليه أنَه يدرس لغة منطوقة وفق المنهج الوصفي وحده.
- دعا عدد ليس قليل من اللغويين لاتباع المنهج الوصفي، ومنهم من حاول تطبيقه على التراث العربي القديم، كمهدي المخزومي، وكمال بشر، وغيرهما، إلا أنَّ محاولة تمَّام كانت الأيسر والأوضح لدى الباحثين المحدثين؛ لأنَّها محاولة لم تلغِ جهد السابقين أو تبالغ في إلقاء اللوم عليهم كونهم لم يكونوا وصَّافين شأنهم شأن العلماء في العصر الحديث.
- إنَّ محاولة تمَّام لتطبيق المنهج الوصفي، وفهم مبنى ومعنى العربية وتراثها من خلاله، أدت به إلى الوصول إلى نتائج ورؤى جديدة، منها تقسيم الكلام العربي على سبعة أقسام: (الاسم، الصفة، الفعل، الضمير، الخالفة، الظرف، الأداة)، وهو تقسيم جدير بالأخذ به، وتدريسه بالجامعات، وتطبيقه في مناهج المتوسطة والإعدادية؛ وذلك أنَّه يسهّل على الدارس التمييز بين أقسام الكلام وتصنيفها.

قائمة المصادر والمراجع:

شلش، أسماء. (٢٠٢٤م). *ظاهرة التفصّح في العربية*، دار كنوز المعرفة، عمان.

شلش، أسماء (٢٠٢٣م). *الفونيتيكا النفسية في اللسانيات السوسيرية*. تاريخ النشر (٢٠٢٣/٥/٢٧م) مجلة آداب المستنصرية، المجلد : ٤٧، الأصدار: ١٠٢، الصفحات ٢١٦-٢٣٩.

نور الدين، امبارك. (٢٠٢٢م). *تطبيقات النظريات اللسانية الحديثة على اللغة العربية، تمّام حسّان انموذجًا*، تاريخ النشر (٦/١٠/ ٢٠٢٢م) مجلة اللغة الوظيفية، المجلد:٩، العدد ١، الصفحات ١٥٢-١٧١ .

حسّان، تمّام. (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، *الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: النحو – فقه اللغة– البلاغة*، عالم الكتب، القاهرة.

حسّان، تمّام. (٢٠٠١م)، *اللغة بين المعيارية والوصفية*، عالم الكتب، القاهرة.

حسّان، تمّام. (٢٠٠٩م)، *اللغة العربية معناها ومبناها*، عالم الكتب، القاهرة.

حسّان، تمّام. *مناهج البحث اللغوي*، مكتب النسر للطباعة، القاهرة.

أبو قدر الحسيني، ضرغام علي محسن. *الوصفية في النحو العربي بين الدكتور مهدي المخزومي والدكتور تمّام حسّان، دراسة موازنة*، (٢٠٢١م)، أمل الجديدة، سوريا.

معزوز، عبد الحليم، *جهود تمّام حسّان النحوية: قراءة أصيلة للتراث أم اتباع للمناهج الغربية؟*(٢٠١٥م)، مجلة التواصل، المجلد:٢١، العدد ٣، تاريخ النشر: ٢٠١٥/٩/٣٠ الصفحات ٢١٠-٢٢١.

دي سوسير، فردينان. (١٩٨٥م)، *دروس في الألسنية العامة*، المترجمون: صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس.

دوبيكير، لويك، (٢٠١٥م)، *فهم فرديناند دو سوسور وفقًا لمخطوطاته، مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات*. ترجمة: ريمة بركة، مراجعة: بسام بركة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

References

Shalash, Asma. (2024). The Phenomenon of Eloquence in Arabic. Dar Kunooz Al-Ma'rifah, Amman.

Shalash, Asma (2023). Psychophonetics in Saussurean Linguistics. Published (May 27, 2023) Al-Mustansiriya Journal of Arts, Volume 47, Issue 102, pp. 216-239.

Nour El-Din, Mubarak. (2022). Applications of Modern Linguistic Theories to the Arabic Language: Tammam Hassan as a Model. Published (June 10, 2022) Functional Language Journal, Volume 9, Issue 1, pp. 152-171.

Hassan, Tammam. (1420 AH/2000 CE). The Origins: An Epistemological Study of Linguistic Thought among the Arabs: Grammar, Philology, and Rhetoric. Alam Al-Kutub, Cairo.

Hassan, Tammam. (2001). Language Between Normativity and Descriptivism. Alam al-Kutub, Cairo.

Hassan, Tammam. (2009). The Arabic Language: Its Meaning and Structure. Alam al-Kutub, Cairo.

Hassan, Tammam. Methods of Linguistic Research. Al-Nasr Printing Office, Cairo.

Abu Qadr al-Husseini, Dirgham Ali Muhsin. Descriptivism in Arabic Grammar: A Comparative Study Between Dr. Mahdi al-Makhzoumi and Dr. Tammam Hassan. (2021). Amal al-Jadeeda, Syria.

Maazouz, Abdel Halim. Tammam Hassan's Grammatical Efforts: An Original Reading of the Heritage or Following Western Methods? (2015). Al-Tawasul Journal, Volume 21, Issue 3, Publication Date: September 30, 2015, Pages 210-221.

De Saussure, Ferdinand. (1985). Course in General Linguistics. Translated by: Saleh al-Qarmadi, Muhammad al-Shawish, Muhammad Ajina. Arab House for Books, Tunisia. Dobbek, Loïc (2015). Understanding Ferdinand de Saussure According to His Manuscripts: Conceptual Insights into the Development of Linguistics. Translated by Rima Baraka, reviewed by Bassam Baraka, Arab Organization for Translation, Beirut.